

الزخرفة

الزخرفة هي مفعول الزخرف، والزخرفة في مفهومها الإسلامي هي إضفاء الجماليات على الأشياء باستعمال الأشكال الهندسية أو النباتية دون إدخال صور الكائنات الحية فيها. وقد تعددت الزخارف الهندسية والنباتية في العمارة الإسلامية بأشكال وأنماط وألوان متعددة مستمدة من الموروث الحرفي الذي تتميز به الأقطار المختلفة من العالم الإسلامي، فهي إما تشكل من الخص كما في المغرب أو الحجر كما في مصر أو الطابوق كما في العراق أو الخزف كما في إيران وتطبق الزخارف على الأرضيات أو الحوائط أو الأسقف والقباب وعلى الأقمشة والسجاد والأعمال الخشبية والحديدية والنحاسية لتزيينها وإضفاء مسحة من الجمال عليها، وقد أدخلت الزخرفة على العمارة الإسلامية في مراحل ما بعد صدر الإسلام عندما انتشرت على ربوع الأرض شرقاً وغرباً وقد تأثرت الزخارف بمعطيات الحضارات السابقة فيها فأخذت منها ما لا يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولفظت ما يتعارض معها. والإسراف في الزخرف والألوان منهي عنه خاصة في المساجد. حتى لا يشغل المصلين عن الصلاة عملاً بمنهج الوسطية في الإسلام قال تعالى: "وجعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً" (سورة البقرة آية 143).

وينطبق ذلك على المسكن والملبس والأثاث وغيرها من الأدوات، قال تعالى: "ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون، وليبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون وزخرفاً وأن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين" (سورة الزخرف آية 33-35)، والإسلام يدعو إلى إضفاء الجمال على الأشياء وتزيينها ولكن دون إسراف أو تقتير، قال تعالى "قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق. قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون" (سورة الأعراف آية 32)، فقد ربط الله تعالى الزينة بالإيمان، الإيمان بالوسطية حتى لا تنقلب الزينة إلى إسفاف أو إسراف، قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى أوصى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد" رواه ابن داوود، وهنا يجدر الفصل بين خصوصية الزخرف الذي لا يظهر للآخرين والزخرف الذي يظهر للآخرين من أفراد المجتمع وهو ما يكون من الخيلاء أو التفاخر، فالزخرف داخل المعمار له خصوصيته الفردية أما الزخرف في الخارج فله حدوده التي تتفق مع ما ترضى عليه الجماعة.

دكتور مهندس / عبد الباقي إبراهيم